اتبعوا سبيلنا اي الذي نسلكه في ديننا اذ فعلوا عن انفسكم ذلك ولنحمل فقالوا الحاق من عقاب الله تعالى على خطيئة اتباعكم تقالوا لهم اتبعونا ولنحمل خطاياكم ان كان فلك خطيئة او ان كان بعث ومواخذة قال الجلال المحلي والامر بمعنى الخبر وهو اولى من قول البيضاوي وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تسجيعا للمومنين على الاتباع وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم اي الكفار بحاملين من خطاياهم اي المومنين من شيء انهم لكاذبون في ذلك قال الزمخشري ونرى في المتسمين بالاسلام من سنن بذلك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظايم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكي ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوايجه فلما قضاها قال يا امير المومنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهولاء فانهم قطاع الطريق في المامن فان قيل كيف سماهم الله تعالى كاذبين وانما ضمنوا شيا علم الله تعالى انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين كذب عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا ما على عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا ما هو عليه اجيب بان الله تعالى شبه حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا ما على عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا ما عليه المخبر عنهم ويجوز ان يريد بانهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه فالذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية من الخلف تنبيه من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيا من خطاياهم فان قيل قال الله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء قال الله تعالى وليحملن اي الكفرة اثقالهم اي اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اثقالا بقولهم للمومنين اتبعوا سبيلنا واضلالهم مقلديهم فكيف الجمع بينهما اجيب بان قول القايل حمل فلان عن فلان يريد ان حمل وزره حتى فان لم يخف حمله فلا يكون قد حمل منه شيا بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزار انفسهم واوزارا بسبب اضلالهم كقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شيء وقال تعالى في اية اخرى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من غير ان ينقص من اوزار من تبعهم شيء

وليسألن

وليسألن يوم القيمة اي سوال توبيخ وتقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل واللام في الفعلين لام القسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ولما كان التسلي للبلاء والامتحان والصبر على الهوان ذكر من الرسل الكرام عليهم السلام ما طال صبره على البلاء ولم يفتر عزمه عن نصيحة العباد بقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا اي اول رسل الله الى المخالفين الى العباد وهو معنى الى قومه دعوا اربعون سنة فان الكفر كان قد عم اهل الارض وكان عليه السلام اطول الانبيا بلاءهم ولذلك قال تعالى سببا عن ذلك وتسعفنا فلبث فيهم اي بعد الرسالة الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى توحيد الله فكذبوه فاخذهم الطوفان اي الماء الكثير فغرقوا وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولتابعيه رضي الله تعالى عنهم وتخبيثا لهم وتهديد القريش قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وروي عن ابن عباس انه بعث وهو ابن اربعماية وثمانين وعاش بعد الطوفان ثلثماية وخمسين سنة فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه في قومه وهو تسعماية وخمسون سنة فيكون قد عاش الف سنة وسبعماية وثمانين سنة واما قبره عليه السلام روي ابن جرير والازرقي حديثا مرسلا ان قبره بالمسجد الحرام وقيل ببلدة البقاع يعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك وعن وهب انه عاش الفا واربعماية سنة والاية تدل على خلاف قول الاطبا العمر الانساني لا يزيد على ماية وعشرين سنة ويسمونه العمر الطبيعي قال الرازي ونحن نقول ليس طبيعيا بل هو عطاي الهي واما العمر الطبيعي فلا يدوم عنده ولا يخرجه فضلا عن ماية او اكثر فان قيل هل لا قال تسعماية سنة وخمسين ولم جا المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام اجيب عن الاول بان ما اورد الله تعالى احكم لانه لو قيل كما ذكر لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زايل مع مجيئه كذلك وكانه قال تسعماية وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملا بالفا وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره وعن الثاني بان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه ونحو ذلك

بدم